محاضرة

المشروع الفكري لمحمد أركون

سيرته

ولد محمد أركون سنة1928 ،بولاية تيزي وزو ،ونشأ في عائلة فقيرة، بدأ تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه ،والتحق بوالده وأكمل دراسته الثانوية بمدينة وهران يشرف عليها الآباء البيض(نخبة من المعلمين ذوي النزعة التبشيرية) ما بين 1941-1945،تعرف على الثقافة والأدب اللاتينيين، وتعرف على القيم المسيحية وآباء الكنيسة الأفريقية تورتوليان وسوبريانوس وأوغسطينوس.

ثم التحق بكلية الآدب في جامعة الجزائر ما بين (1950-1954) ،ولم يكتف بدراسة الأدب بل انخرط أيضا في دراسة الفلسفة والقانون والجغرافيا ،وفي منتصف الخمسينيات التحق بجامعة السوربون بتوصية من المستشرق لويس ماسينيون ،وفيها حصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة 1969.

توفي المفكر الجزائري والحداثي محمد أركون يوم الثلاثاء 14 سبتمبر 2010، ودفن في العاصمة المغربية الرباط ،تنفيذا لوصيته بذلك.

الجوائز و الأوسمة :

- ضابط "بالمس" الأكاديمي سنة 1979.
- ضابط لواء الشرف سنة 1984.
- دكتوراه فخرية من جامعة أكسيتر سنة 2008.
- جائزة ليفي ديلا لدراسات الشرق الأوسط كاليفورنيا سنة 2002.
- جائزة ابن رشد للفكر الحر برلين سنة 2003.

- جائزة الدوحة عاصمة الثقافة العربية سنة 2010.

المهام التي تولاها:

- عمل أستاذا في العديد من الجامعات العالمية كجامعة السوربون تخصص التاريخ الإسلامي (1961-1969)، وجامعة كاليفورنيا (1969)، وجامعة ليون (1970-1972)، وجامعة نيويورك (2001-2003).
- أستاذ زائر وعضو في مجلس إدارة معاهد الدراسات الإسلامية في لندن منذ 1993.
- المدير العلمي لمجلة Arabica منذ سنة 1980.
- عضو لجنة العلْمَنة في فرنسا لسنة 2003.

أهم مؤلفاته :

- الفكر العربي .
- الفكر الإسلامي : قراءة علمية.
- الفكر الإسلامي، نقد واجتهاد.
- الإسلام، أوروبا، الغرب.
- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل.
- نزعة الأنْسَنَة في الفكر العربي.
- من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي.
- معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية.
- قضايا في نقد العقل الديني.
- الإسلام، أصالة وممارسة.
- العلمنة والدين.

فاهتمام أركون كان منصب حول اعادة قراءة التراث ،وعليه أصبح واضح إليه أن الإشكالية تتمحور حول منهج القراءة .

فماهي أبرز المناهج التي اعتمدها أركون في قراءاته ودراساته ؟ وهل استطاع أن يحقق بها نتائج ايجابية؟

منهجه الفكري :

استطاع اركون أن يصنع لنفسه مكانا في عالم الفكر العربي ،وهذا من خلال استعمال مناهج و مفاهيم حديثة و معاصرة غربية ، يقول في هذا أنه قام " بذلك عن طريق زحزحة ميدان الدراسة والتحليل باتجاه علم الألسنيات الحديثة،وعلم النفس التاريخي، والانتربولوجيا الاجتماعية والثقافية " [1] ،إن تواجد أركون الدائم بأوروبا و تنقله ،بين المراكز والنوادي الفكرية و الثقافية ،وكذا سعة اطلاعه على الإنتاج القديم و تتبع كل المناهج والإصدرات الجديدة كل هذا ساهم في تمرسه بمسألة المنهج ، فهو لم يحصر اهتمامه بمنهج واحد فقط أو غلب منهج على آخر ،بل جعل طبيعة الموضوع أو النص أو الإشكالية هي التي تحدد المنهج ،فنجد أركون "يعتمد على المنهجية المتعددة الأبعاد la multidisciplinarité وهي الأفضل بالنسبة لرؤيته النقدية و هواجسه الفكري " [2] ،ولم يكن أركون يختار المنهج مسبقا فهو " يتحاشى رسم الخطوات النقدية وتتابعها قبل القيام بها ، لم ير النتيجة أو يؤطر الهدف الذي سيصل إليه قبل الشروع في الكتابة وانهاء فصولها

---

[1] محمد أركون ، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ،تر هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت، ط 1 ، 1991 ،ص42.

[2] نايلة أبي نادر وآخرون، محمد أركون المفكر و الباحث والإنسان ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط الأولى ، سنة 2011 ، ص 111.

،دخل في الإحتمال ،وأقام في التجربة ،واعادة الكرة مرة بعد مرة ،مستنبطا أدواته وفق الحاجة إليها ،فاستخدم المنهج المناسب في المكان المناسب ،وكأن الأمر يتعلق بمختبر علمي " [3].

اعتمد أركون في دراساته على المنهج التاريخي الذي يعتبره أم المناهج النقدية ،فأي عمل نقدي أو مقاربة نقدية لا يمكنها أن تتأسس دون القدرة على التمكن من المنهج التاريخي ،بالإضافة إلى ذلك اعتمد أركون على المنهج الفيلولوجي الذي يقوم على تحديد النصوص وتأويلها بعد التحليل ،ودراسة التاريخ الأدبي ،غير أن هذا المنهج غير كافي لأن قراءته محدودة ،كان أركون ممن انتقدوا المنهج الفيلولوجي (فالنص متعدد المعاني – حسب رولان بارت – وأنه يوجد بالإضافة إلى المعنى الأساسي والتاريخي للكلمة معان ثانوية أخرى " ظلال المعاني " لابد من أخذها بعين الإعتبار في تحليل النص) [4].

يصر أركون على أهمية التاريخية ومنهج النقد التاريخي ،حيث يرى كل الأنظمة الدينية والعقائدية تخضع للتاريخية ولا يمكنها أن تكون خارج التاريخ (فالمعرفة التاريخية توقظ فينا الحنين إلى الكينونة ،وإلى الرغبة في الخلود ،والتطلع إلى شمولية المعنى ،أي باختصار إلى كل ما يتجاوز التاريخية بالذات) [5].

مشروعه الفكري :

كيف أسس أركون لمشروع ثوري في مجال الدراسات الإسلامية يحمل بدائل حديثة عوض الدراسات الكلاسكية ؟

بداية من كتابه "الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري" الذي صدر في بداية سبعينيات القرن الماضي مرورا بعدد من الكتب على امتداد عقدي الثمانينيات والتسعينيات

---

[3] نفس المرجع ، نفس الصفحة.

[4] محمد أركون ، تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، تر هاشم صالح ،مركز الإنماء القومي ، بيروت ،سنة 1986 ، ص 259 .

[5] محمد أركون ، الفكر الإسلامي : قراءة علمية ، ص 91 .

من القرن الماضي والعقد الأول من هذا القرن، والتي ترجمها في معظمها شارحه هاشم صالح إلى العربية، ومن بينها " تاريخية الفكر العربي الإسلامي" و"قضايا في نقد العقل الديني" و"القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني" و"الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي" و"الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد" و"أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟" و"الإسلام بين الأمس والغد" و"من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي"... الخ .

هذه المؤلفات وغيرها، كلها تمثل حلقات في مشروع واحد هو المشروع الاركوني في قراءة التراث العربي الإسلامي ،وفي القلب منه القرآن الكريم، قراءة حديثة ومختلفة عما هو سائد في الثقافة العربية، ووفقا لمناهج وعلوم حديثة في الألسنية الانثروبولوجيا عموما والدينية خصوصا، وكذلك العلوم الاجتماعية والإنسانية خاصة في فرنسا، من قبيل اركيولوجيا فوكو ومفاهيم الرأسمال الرمزي لدى بوردو والتفكيكية من خلال غراماتولوجيا (علم الكتابة) لـ جاك دريدا، ويمثل هؤلاء حضورا قويا في مشروع اركون سواء بشكل مباشر،أو غير مباشر،فهو وإنْ لم يقر بذلك فإنه يدين لهم بطريقة أو أخرى، هذا فضلا عن حضور مفكرين فرنسيين آخرين استمد منهم المدد، ولكن حضورهم اقل من الأولين، أمثال هنري كوربان في مقاربته للفلسفة الإسلامية عموما والاستشراقية على وجه الخصوص.

يرى أركون أنه من أجل أن يتحرر المسلمين ويتجاوزوا تخلفهم لابد لهم من اعادة قراءة للتراث الإسلامي ،فما هو مفهوم التراث في تصور أركون ؟وماهي الآليات من أجل اعادة قراءة التراث الإسلامي ؟

سعى أركون في مشروعه الفكري إلى نقد كثير من الخطابات التي قامت بقراءة التراث الإسلامي :

نقده للخطابات الإسلامية :

يرى أركون أن الخطابات الإسلامية التي عكفت على دراسة الإستشراق قليلة جدا و ضئيلة ،هذا إذا استثنينا الخطاب الأصولي السلفي الذي له قدرة كبيرة على التجييش غير أن من الجانب العلمي فهو سطحي ان لم نقل خالي منه ،ينتقد أركون المثقفون العرب من أمثال عبد الله العروي هشام جعيط و أنور عبد المالك و ادوارد سعيد و غيرهم حيث أنهم يقومون بنقد المستشرقين و هم ينتمون إلى مناهجهم و علومهم ،فدراسة العروي التي قدمها بخصوص تاريخ المغرب – بالنسبة اليه لأركون – تبين أنه لم يستطع التحرر من إيديولوجيا الكفاح ،أما ادوارد سعيد الذي قام بنقد الفكر الإستشراقي كاملا ،فكان الأولى أن يركز جهوده حول تحليل الصراع العربي –الإسرائيلي بحكم عيشه ف أمريكا و قربه من سلطة القرار هناك كان ليقدم عملا جادا و رائعا .

يرى اركون أن انتشار خطابات الحركات الإسلامية الأصولية تزيد من النظرة السلبية عند الشعوب الإسلامية ضد الغرب وضد انتاجه الفكري المشكوك في صحته والمتمثل في الإستشراق ،حيث هناك الكثير من المبررات لهذا الإنتشار ،وهي في تصورهم دليل على عودة الإسلام ،يقول المستشرق ماكسيم رودنسون (..كل المؤشرات تحملني إلى القول أن القرن الواحد و العشرون سيكون قرن الحركات الإسلامية) [6].

نقده لخطابات الإستشراقية :

أركون في نهجه هذا يسعى لتأسيس دراسات إسلامية جديدة بعيدة عن الكتابات الاستشراقية في قراءة الاسلام والتي يسميها أركون "بالوصفية والخارجية" .. فهو يسعى

[6] ماكسيم رودنسون ،مقال :القرن 21 سيكون قرن الحركات الإسلامية ، جريدة الشروق العربي ،الجزائر ، العدد 429 ، تاريخ 27 نوفمبر 2000 ، ص 7.

للاستفادة من كل المعارف الاجتماعية في دراسته للنصوص الإسلامية، ومحاولة فهم خصوصية الحالة الاسلامية .

يرى أركون ان الدراسات الاستشراقية لم تؤدِ إلى كشف المشاكل الحقيقية وآليات الهيمنة والتسلط السائدة في المجتمعات الاسلامية، ومنها العربية، بسبب الرؤية الاستشراقية القاصرة، وعدم القدرة على فهم الظاهرة الاسلامية بسبب النظرة الفوقية لقسم من المستشرقين وأيضاً بسبب ذهنية (المركزية الفكرية الأوروبية)والتي نهل منها باحثين وفلاسفة غربيين.

يرى أركون أن ما قدمه المستشرقين من انتاج لم يكن غايته علمية و بحثية محضة بل كانت تهدف كذلك إلى الإحاطة بكل المعطيات الثقافية الخاصة بالآخر وإعادة انتاجها ،فالإستشراق كان يفكر وفقا لحاجات الغربية لا لأجل العلم و المعرفة ، وهذا خلق تصور خاطيء عن الإسلام و المسلمين (وعي الجمهور الغربي مشحون بالأحكام السلبية المسبقة والعتيقة عن الإسلام والمسلمين ..وهو يمتلك صورة ارتيابية تشتبه بهم أو لا تثق بهم على الإطلاق ،إنها صورة احتقارية ، وغالبا عدوانية) [7].

فبالنسبة لأركون ليس هناك تطابق بين خطاب المستشرقين وواقع المسلمين ، فبمجرد حصول بعض الوعي لبعض المثقفين بدينهم و تاريخهم توالت هجامات المستشرقين عليهم ، بل وصلت لحد شن ثورة ضد الإسلام لتشويهه و خلق الكراهية ضده .

الإسلاميات التطبيقية بديل :

يصر أركون في أبحاثه الأولى أنه يحاول تجاوز الفكر الكلاسيكي و البسيط و تعويضه بفكر نقدي ابيستمولوجي و المتمثل في الإسلاميات التطبيقية ،حيث يبين أركون أنه (حريص على الإلتزام بمباديء المعرفة العلمية ، مهما كان الثمن الذي تفرضه عليا من

[7] محمد اركون ، قضايا في نقد العقل الديني : كيف نفهم الإسلام اليوم ،ترجمة هاشم صالح ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 3 ،2004 ، ص 19

الناحية السيكولوجية أو الاجتماعية أو الإيديولوجية باهضا) [8] ،فالإسلاميات التطبيقية هي ممارسة علمية متعددة الاختصاصات ،حيث ترجع تعددية المناهج الفاحصة من أجل تجنب أي اختزال للمادة المدروسة باعتبار أن الفكر الإسلامي يستمر في الارتكاز على المسلمات القرون الوسطى ،ويرى أركون أنه يجب على عالم الإسلاميات أن يكون متمكن من اللسانيات و كذا يجب من أجل فهم ظاهرة الإسلام يجب دراسة تطور المجتمعات الإسلامية " العامل التاريخي " و وكذا العامل البسيكولوجي و العامل الثقافي ، كما يؤكد أركون على ضرورة دراسة اللامفكر فيه و هو بالنسبة له (ليس إلا تراكما للمستحيل التفكير فيه في عدة مراحل متعاقبة من التاريخ وذلك لأسباب دينية أو اجتماعية أو سياسية)[9].

وهذا المشروع معروف بـ (الاسلامولوجيا) أو الإسلاميات التطبيقية كما أراد هو جريا على ما يعرف في العلوم الاجتماعية بـ (الانثروبولوجيا التطبيقية) ويحدد هذا العلم الذي دشنه فيقول (فهذا العلم الذي دشنته، قبل بضع سنوات، يهدف إلى قراءة مطبقة لماضي الإسلام وحاضره انطلاقا من خطابات المجتمعات الإسلامية والعربية وحاجياتها الحالية) [10] ،أما مترجمه وشارحه هاشم صالح فيعرف الإسلاميات التطبيقية بقوله (يقصد اركون بالإسلاميات التطبيقية تلك المنهجية الجديدة التي اخترعها هو شخصيا لكي يتجاوز منهجية الإسلاميات الكلاسيكية الخاصة بالمستشرقين بعد أن يأخذ كل ما هو مفيد منها) [11].

طرح أركون بدعوته إلى الاسلاميات التطبيقية مسألة العلاقة بين التراث والحداثة، وهي إشكالية كبيرة وقديمة رافقت الفكر العربي. وما زالت قائمة في بنية الخطاب العربي

---

[8] محمد أركون ، تاريخية الفكر العربي الإسلامي ،مصدر سابق ، ص 12

[9] محمد أركون ، الفكر الإسلامي : قراءة علمية ،تر هاشم صالح ،مركز الإنماء القومي ، بيروت ،ط الثانية ،سنة 1996 ، ص 18.

[10] الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد ،تر هاشم صالح ،مصدر سابق، ص 35.

[11] المصدر السابق، ص197.

المعاصر، يقول أركون: (أنا لست أصولياً ماضوياً.. الذي أريده إقامة مقارنة جادة بين البعد الديني، ومعطيات العلوم الإنسانية، والاجتماعية.. البعد الديني بكل مايعنيه من قيمة روحية لوجود البشر، وبين فتوحات الحرية التي حققها العقل العلماني في أوروبا) [12].

قراءة معاصرة للتراث

كيف نقرا تراثنا؟

يرى أركون أن التراث يتكون من ثلاثة طبقات متفاعلة ومتداخلة مع بعضها البعض في ما يسمى " التراث الإسلامي " ويقسمها إلى ثلاثة مستويات :

1- **المستوى العميق:** وهو ما يسميه جورج بالانديه ب " الطبقة الأصيلة " ، وهذه الطبقة تمثل التراث العتيق أو القديم ، وهي تشتمل حتى على العادات و التقاليد التي كانت قبل الإسلام ،واستمرت معهم لما بعد.

2- **المستوى الثاني** : يسميها بالانديه ب " الطبقة الإسلامية " وتمثل (التراث الإسلامي المقدس و المثالي كما تراه كل جماعة أو فرقة من الفرق الإسلامية ..ترسبت هذه التراثات بواسطة مجموعات الحديث التي أنجزتها كل جماعة ،والتي ترى في تراثها الخط الصحيح أو الإسلام الصحيح)[13] ،فلكل فرقة تراثها الخاص ،ونصوصها ،وهذا ما يفسر التصارع بيف الفرق إلى حد تكفير بعضها البعض .

3- **المستوى الثالث** : وهي طبقة نتجت عن مؤثرات الإستعمار وما أحدثها من تأثير ثقافي واقتصادي وسياسي ،كالقوانين الحديثة والتصورات الجديدة ،وهو ما يسميه أركون ب"التتريث" أي جعل أمور كثير تدخل دائرة التراث مع اعطاءها صبغة

---

[12] نفس لمصدر ،ص 256

[13] محمد أركون ، الإسلام والأخلاق و السياسة ،تر هاشم صالح ،مركز الإنماء القومي ، بيروت ،ط 1، 1990 ، ص 116 .

اسلامية (نجد أن الدول الجديدة تبحث عن مشروعية مستندة على التراث الإسلامي)[14].

إن الملاحظ أن أركون يركز أكثر في دراساته على المستوى الثاني ،وما يتضمنه من التراث الإسلامي المقدس ،يحاول دراسة المعتقدات و العادات الإسلامية المتوارثة من جيل لآخر ،وينظر إليه نظرة شمولية وهي ميزة لفكر أركون ،فالتراث الإسلامي عنده تراث كلي سواء كان شيعي أو سني أو خوارجي ، دون تميز بين أحد منهم .

إن منهج أركون البحثي يقارب قراءة النصوص، والظواهر الاسلامية بنوع من رفض اللغة الدعائية والشعاراتية ،والتبجيلية ،والرؤية التقليدية الماضوية التي ترى كل الكمال في هذا التراث، وانه يمكن استعادة هذا التراث، وتوظيفه كاملاً في بناء الحياة الواقعية الجديدة.. ،فأركون يرفض هذه الرؤية "اللاتاريخية"، بالمقابل يفتح أركون نوافذه على معطيات الحداثة الغربية بالأخص دراسات العلوم الإنسانية،والاجتماعية والتي حلت محل التفسيرات اللاهوتية، والاسطورية.

أي حداثة يبتغي أركون؟

السؤال الذي نطرحه هنا هو أية حداثة يريدها أركون ؟

الجواب هو في كتاباته حيث يقول: (الحداثة هي موقف للروح أمام مشكلة المعرفة.. موقف للروح أمام المناهج التي يستخدمها العقل للتوصل الى معرفة ملموسة للواقع) [15]، أما التحديث فيراه أركون جانبا تقنياً يتعلق باستخدام التقنيات الحديثة بالمعنى الزمني وإدخالها الى الساحة العربية والإسلامية.

---

[14] محمد أركون ، الفكر الإسلامي : قراءة علمية ،مصدر سابق ، ص 30 .

[15] محمد أركون: تحديث وليس حداثة، ص105.

الإنسية كما يصفها اركون هي الروح المتعالية على الشوفونية و–هي المغالات في التعصب نسبة لنيكولا شيفون–، والعرقية الضيقة.. فهي انفتاح على الآخر بثقافته، وقيمه وتصوراته ، ويرى ان هذه الإنسية تجلت لدى أعلام كبار في الثقافة العربية منهم "أبو حيان التوحيدي" رمز التمرد والإبداع، وضحية الانغلاق والتحجر لدى بعض الفقهاء والساسة ، الذين رموه بالزندقة والخروج.. كما يرى أن الجاحظ مثقف أنسي منفتح على الفكر اليوناني، والفارسي، والعربي الاسلامي.. بذلك يكون الجاحظ والتوحيدي قد مثلا الحداثة العربية الاسلامية في عصرهم.

يذهب أركون الى أن الحداثة العربية الاسلامية في القرن الرابع الهجري ارتبطت بالتيار العقلي ،والفلسفي ،والعلمي .. وكان ابن رشد خير ممثل لهذا التيار الذي لعب دوراً بارزاً في الساحة الاوروبية إبان عصر النهضة الاوروبية عبر تيار العقلانية الرشدية ذي السمة الفلسفية .. بذلك يكون قد جسد الحداثة في عصره بكل خصوصيات الروح ،والزمان ،والمكان ،هناك علامات فكرية كبيرة عند أركون يجب طرحها : ففكره يحمل التحول والتغيير الواعي والهادف .. ونظرته للإسلام أنه كان تحولاً حداثياً كبيراً في عصره ،حيث شكل الخطاب القرآني تغييراً جذرياً لبنية ثقافية ،واجتماعية تحمل وهجها ،وبلاغتها ،وابداعها ،وخيرها الإنساني لكن يرى أركون أن الثقافة (الدوغمائية)الجامدة التي كرسها الغالب من الفقهاء .. والذين يسميهم ماكس فيبر (المسؤولون عن تسيير المقدس) أضعفوا الكثير من وهج هذا الفكر وروحية خطابه ،ورهنوه بثوابت لا تقرأ زمن التحول.

لقد قدم محمد أركون فكراً رائعاً يعتد به، ومنهجاً معرفياً في قراءة الاسلاميات ،واستطاع مقاربة الفكر الاسلامي بعقل حي، ومعرفي، ومنفتح.. عقل علمي ، وبحثي ، كما قدم منظومات فكرية إسلامية نقدية منهجها تطبيقي كالنقد الأدبي في قراءة النص ،وكشف

جوانبه ،متحرراً من عقد الزمان ،والمكان ،والأسماء،وفكرة التعظيم الموروث ، ففكر محمد أركون هو بمثابة منهج معرفي ،ودليل لقراءة الكثير من المعارف و المناهج في العلوم الحديثة أو تراثنا الإسلامي .

كما تبرز أهمية مشروع أركون الفكري في قيامه بدور الوساطة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي ،وخاصة والمرحلة القادمة تتطلب التقليل من التوتر و الصراع ، ومحاولة التقريب بين وجهات النظر وتكريس لغة الحوار والتعايش ،ولعل الإسلاميات التطبيقية التي اقترحها ما هي إلا استراتيجية لتجاوز تلك القراءات الكلاسيكية والقفز نحو رؤية جديدة ترتكز على العقل و المعرفة .